الأستاذة: سعاد حميتي
الإطار محاضر- أ-
الجامعة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة.
كلية الآداب والحضارة الإسلامية
البريد الإلكتروني: hsouad75@hotmail.fr
عنوان الندوة العلمية: النظريات اللسانية الاتجاهات والتطبيقات
محور الندوة: 03استثمار النظريات اللسانية المعاصرة في خدمة العربية ضمن المجالات اللسانية التطبيقية (اكتساب اللغة، تعليمية اللغة، الترجمة، علم النص، تحليل الخطاب، التداولية، الحوسبة، التخطيط اللغوي، صناعة المعاجم، علم المصطلح...)
عنوان الندوة: النظرية اللسانية الحديثة وقوانين تحليل الخطاب- الخطاب المسرحي مقاربة تداولية.

الملخص:

يضم الخطاب المسرحي مكونات تحكمها قوانين تسعى جاهدة لتنظيم وتنسيق علاقاتها النصية، التي تقوم على التماسك والانسجام؛ فيتخذ بذلك تحليل الخطاب من اللسانيات منطلقا له وبناءا على ذلك بدأ التفكير في كيفية انتظامه وتماسكه والأسس التي ينبني عليها ويحققها من خلال أغراضه في التخاطب، وهوما حفز إلى ظهور لسانيات تحليل الخطاب أو التحليل اللساني للخطاب؛ فقدمت مناهج لتحليل الخطاب المترابط وفق قوانين معينة، فيعد بذلك الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني. فكيف ستسعى النظرية اللسانية إلى تدعيم وتأويل وتحليل الخطاب؟ كيف أثرت الدراسة اللسانية المعاصرة في تحليل الخطاب تحليلا وصفيا من خلال مقاربة الخطاب والنص وحدودهما في اللسانيات المعاصرة؟ ما هي القوانين التي تحكم تحليل الخطاب وفق النظرية اللسانية؟

كلمات مفتاحية:

استثمار، نظرية، لسانيات، تحليل، خطاب، كفاءة، قوانين

Summary:
The theatrical discourse comprises components governed by laws that strive to organize and coordinate its textual relationships, which are based on coherence and harmony. Therefore, discourse analysis takes linguistics as its starting point, and based on that, thinking began about how to regularize and consolidate it and the principles upon which it is built and achieved through its communicative purposes. This led to the emergence of discourse analysis linguistics or linguistic analysis of discourse. Approaches were introduced for analyzing interconnected discourse according to specific laws, making discourse a legitimate subject for linguistic study. How will linguistic theory seek to support, interpret, and analyze discourse? How has contemporary linguistic study influenced discourse analysis descriptively through the approach to discourse and text and their boundaries in contemporary linguistics? What are the laws governing discourse analysis according to linguistic theory?
Keywords:
Investment, theory, linguistics, analysis, discourse, efficiency,

التداولية وتحليل الخطاب:

يشترك تحليل الخطاب مع التداولية في الاهتمام أساسًا بتحليل الحوار، ويقتسمان عددًا من المفهومات الفلسفية واللغوية. كالطريقة التي توزع بها المعلومات في جُمَلٍ ونصوص، والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية. أمّا عن مفهوم الخطاب فسنتحدث عنه مفصَّلا عن العرب والغرب وورود كلمة خطاب – خطب– في القرآن الكريم وفي المعاجم العربية.

القرآن الكريم:

إنّ الجسم الإنساني يلعب دورًا هامًّا في تحقيق التفاعل الاجتماعي الذي يتمثل في التواصل بين أفراد المجتمع أنظر إلى قوله تعالى:

"وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ"1، وقوله تعالى: "وَلَوْنَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ "2، كما ورد في القرآن الكريم– الخطاب– بَصيَغٍ متعددة منها: صيغة الفعل في قوله تعالى: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)[3]، وبصيغة المصدر في قوله تعالى: (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا)[4]، وفي قوله تعالى عن داوود عليه السلام: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)[5]،وفي قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)[6].

أما مادة (خطب) فنجِدُها في لسان العرب تَعني: (الخطاب، والمخاطبة مراجعة الكلام، وقَدْ خاطَبَهُ بالكلام مخاطَبَةً وخطابًا وهُمَا يَتَخاطَبَانِ)[7].

ومادة خ ط ب عند الزمخشري (خاطَبَهُ أَحْسَنَ الخِطاب، وَهُوالمُواجهة بالكلامِ، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطبَ الخاطِبُ خطبة جَميلَة...، ومِنَ الْمَجَازِ: فلان يَخْطُبُ عَمَلَ كَذَا، يَطْلُبُه وَقَدْ أَخْطَبَك الصيد فأرْمِهِ، أي أَكْتُبُكَ وَأَمْكنكَ وأخْطُبُكَ الأمر، وَهُوأَمْرُمُخْطِبٌ، ومعناهُ أَطْلَبَكَ مَن طَلَبْتُ إِلَيْهِ حَاجةً فَأَطْلَبَني...)[8]

ولا يكاد يختلف مفهوم الخطاب حديثًا، عمّا تناوله الدرس العربي القديم، ومن شواهد ذلك ما ذكره الزمخشري، وهويفسّر قوله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)[9]، ومعنى فصل الخِطَاب عنده " البَيّن من الكَلَمِ المُلَخَّصِ الذي يَتَبَينُهُ من يخاطب به لاَ يَلْتَبِس عليه. ومن فَصَلَ الخِطاب، وملخصه: أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل وَالوصل (...) وكذلك مظان العطف وتركه، والإضمار وَالإظهار والحذف والتكرار... وفصل الخطاب–: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ"[10]؛ فالمتأمل في الدّرس العربي، على اختلاف علومه، يجد أنه لم يفصل البنى اللغوية التي تناولها عن واقع

1- سورة المنافقون: الآية 4.
2- سورة محمد :الآية 30
3- سورة الفرقان: الآية 63
4- سورة النبأ: الآية 37.
5- سورة ص: الآية 20
6- سورة ص: الآية 23.
7- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الحادي عشر، ط3، دار صادر بيروت، 1999، ص 361.
8- الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، معجم في اللغة والبلاغة، مكتبة لبنان ناشرون ط1، 1996، ص 112.
9- سورة ص: الآية 20.
10- الزمخشري- الكشاف، ج3، ص 365.

استعمالها، فضلا عن وصف اللغة أثناء استعمالها خطابًا، وهذه من أهم القيم التداولية التي يتميز بها، والتي لا يختلف فيها عن مجال التداولية الذي حدّده اللّسانيون حديثًا في وصف اللغة في استعمالاتها دون تجريدها من تداولها العادي.

يقول ابن يعيش في شرحه: " والمضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات؛ لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات. والأحوال المقترنة بها: حضور المتكلم والمخاطَبْ والمشاهدة لهما..."[1]، وهذا يبين لنا بأن الخطاب ينحصر في ناحيته الشكلية، بدلالة الاهتمام الاهتمام بتصنيف الأداة اللغوية المستعملة التي تشير إلى طرفه الآخر.

كما عرّف الخطاب الأصوليون بأنه: (الأرضية التي استقامت أعمالهم عليها، بل كان هومحور بحثهم فقد تردّد كثير من اشتقاقات مادة (خطب) في مواضع متعددة عندهم، ومن بين الأدلة على ذلك إيرادهم لاسم الفاعل (مُخاطِبْ) ولاسم المفعول (مخاطَب) بوصفهما طرفي الخطاب"[2].

أمّا الآمدي، فقد عرّف الخطاب تعريفًا بيّنًا بقوله: (أنّه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هومتهيءً لفهمه)[3]، ونفهم من هذا التعريف أن العلامات غير اللغوية لا يعتد باستعمالها في الخطاب أما من ناحية لفظ الخطاب فهو(أحد مصدري الفعل خاطَبَ، يُخَاطِبُ خطابًا ومُخَاطَبَةً، وهويدل على توجيه الكلام لمن يفهم، نقل من الدلالة على الحدث المجّرد من الزمن إلي الدلالة على الاسمية، فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطِبَ به وهوالكلام)[4].

لقد حدّد السكاكي طبيعة الخطاب (الشكر، التهنئة.....)، بحسب الظروف المحيطة، وبحسب غرض الكلام وقصده. ثمّ بحسب المخاطب قائلاً: (لاَ يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، وكذا مقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ... وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أوالإنكار...؛ جميع ذلك معلوم لكلِّ لبيبِ، وكذا مقام الكلام

1- ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج3، ص 84، 85.

2- فخر الدين الرّازي: المحصول في علم الأصول، علّق على حواشيه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية مج 1، ط1 1420هـ/ 1990م/ ص 403-404.

3- الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2 1406هـ/ 1986م، ج1، ص 136.

4- إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط1، 1994، ص 21.

مع الذّكي يغاير مقام الكلام مع الغبيّ، ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[1]، فنصّ السّكاكي كما نرى، يختلف كثيرًا عمّا يعرضه الدرس الحديث في نظرته إلى دلالة الخطاب والمقام؛ فالعناصر التي ذكرها السّكاكي– الظروف، الغرض، القصد– متضافرة في إنتاج الخطاب، كما يشرحه الدّرس اللساني الحديث.

ومن أشكال الاهتمام بتنّوع الخطاب لتنّوع مقاماته، ما ذكره الزّركشي في (وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن)؛ " حيث ميّز بين خطاب العام الذي يراد به العموم، والخاص الذي يراد به الخصوص، وخطاب الخاص المراد به العموم، وخطاب العام الذي يراد به الخصوص"[2]، وهي كلّها مقسمة بحسب الأغراض التواصلية التي يتوخاها المتكلم، فيتحدّد شكل الخطاب ونوعه بحسب ذلك.

وقد يأخذ الخطاب صيغة مخالفة لما يقتضيه الحال، إذا خرج الكلام من مقتضى الظاهر إلى خلاف الأغراض نحوية وبلاغية، وفي ذلك قيّم تداولية ترتبط بالمتكلم أوبالسامع نحو:

- وضع المضمر موضع الظاهر؛ في نعم عبدًا (العبد) هوالله أحد، وفي هذا يقصد المتكلم أن يمكن ما يتلوالضمير في ذهن السامع؛ لأنّ الضّمير تهيئة وتشويقًا، فيتمكن بعد وروده" لأنّ المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب"[3].
- مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب، وهوالذي سمّاه الجرجاني المغالطة، والسكاكي الأسلوب الحكيم.
- ومن إجابة السائل بغير ما يتطلب تنبيها على أنّه الأولى أوالأهمّ، نحوقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)[4]؛ حيث أنهم سألوا عن الهلال لم يبدودقيقا ثم يتزايد، حتى يستوي، ثم ينقص حتّى يعود كما كان. فأي فائدة تحت ذلك؟ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك وهي معرفة المواقيت والحلول والآجال.

1- السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشهُ وعلّق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص 168.

2- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ج2، ص 225-217.

3- السيوطي: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وبهامشه، أحمد الدمنهوري: حلية اللب المصون على الجوهر المكنون، دار الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، د.ت، ص 28.

4- سورة البقرة، بعض الآية 189.

- وضع الماضي موضع المستقبل، تنبيها على تحقق وقوعه[1]، نحوقوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ)[2]، أوالإشراف: أي مشارفة وقوعه؛ أي مقاربته نحوقوله تعالى: (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوتَرَكُوا)[3]، لوشارفوا أن يتركوا[4]،أولإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل لقوة الأسباب الظاهرة كقول المشتري: اشتريت، حال انعقاد أسبابه، ولا خلاف بين ما يعرضه هذا العرض الأخير، وبين فكرة الأفعال الإنجازية.

النص كخطاب:

الخطاب يرادف الملفوظ (Enoncé) أوملفوظًا أكبر من الجملة أي مجموعة من الجمل، تصّورات تقترب كثيرًا من مفهوم النّص إن لم تكن مرادفة له.

يصبح الخطاب ضمن الممارسة اللغوية وسيلة للمعرفة وبالتالي يتحول إلى نص Texte. إنّ كثيرًا من اللغات لا تفرق بين النّص والخطاب، وهذا ما يدفعنا الآن إلى البحث عن مفهوم الخطاب عند الغربيين والفرق بينه وبين النّص.

الخطاب عند الغربيين:

يطلق مفهوم الخطاب إجمالاً على أحد المفهومين؛ يتفق في أحدهما مع ما ورد قديما عند العرب، أما المفهوم الآخر، فيتّسم بجدته في الدرس اللغوي الحديث. وهذان المفهومان هما:

الأول: أنه ذلك الملفوظ الموّجه إلى الغير، بإفهامه قصدًا معيّنا

الآخر: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة.

ولقد تناوله أكثر من باحث وفق المفهوم الأول إذ (انطلق DAVID HUME من الثنائية التي أصبحت معهودة منذ سوسير أي اللغة والكلام التي تكوّن اللسان. ويفضّل قيوم استعمال كلمة Discourse عوض كلام Parol؛ ذلك ليؤكد ما يكتسبه الإنجاز اللّغوي من أوجُه ربما لا يحويها لفظ كلام مباشرة، مثل الوجه الكتابي- الحركات الجسدية- السياق- [.....] الخ"[5]، وهذا يعني أن اللغة موجودة بالقوة في حين أنّ الخطاب هوما يوجد بالفعل.

1- السيوطي: شرح عقود الجمان، ص 30.
2- سورة الزمر: آية 68.
3- سورة النساء: آية 9.
4- السيوطي، شرح عقود الجمان، ص 30.
5- عبد الحميد كمون: المدرسة النفسية النظامية، ضمن كتاب (أهم المدارس اللسانية)، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، مارس 1986، ص 55، 56، ضمن عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 37.

وهناك من يعرّف الخطاب، بالنّظر إلى ما يميّزه بالممارسة داخل إطار السياق الاجتماعي بغض النظر عن رتبته حسب تصنيف النحويين، أي بوصفه جملة أوأكثر أوأقل، فلا فرق بين هذه المستويات النحوية في الخطاب لأنّ:" الملفوظ منظورًا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين، وهذا الفعل هوعملية التلفظ وبمعنى آخر يحّدد بنفنست الخطاب بمعناه الأكثر اتساعا بأنّه (كلّ تلفظ يفترض متكلما ومستمعًا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما)[1]؛ فالمتكلم هومنشئ الخطاب ومنتجُه، والسامع هومن يُنْشَأُ له الخِطاب ومن أجله، وهومشارك في إنتاج الخطاب مشاركَةً فَعَّالة

تداولية المخاطب في النحوالعربي:

أمّا عن تداولية المخاطَب في النحوالعربي، فستتضح لنا من خلال قيمة السامع في الدرس النحوي من خلال جملة شواهد أهمها مفهوم الكلام وأقسامه؛ حيث قسم اعتدادا بالسامع، وفي هذا قيمة تداولية. يقول ابن فارس في باب (مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله): "أمّا واضح الكلام فالذي يفهمه كلّ سَامِعٍ عرف ظاهر كلام العرب"[2]؛ فوضوح الكلام على مدى فهم السامع له، بناءً على الأساليب اللغوية التي يعرفها. وهذا ما يبيّن لنا عدم فصل بين المتكلم والسامع؛ فالمتكلم هوفاعل الكلام، بوصفه يتكلم إلى سامع؛ وبالتالي فإن حضوره يستدعي وجود السامع.

ففائدة الكلام، تتحدّد بوجود السامع دون غيره، وقد ورد ذلك في شرح ابن عقيل في شرح الكلام عند النحاة:" اللفظ المفيد فائدةً يحسن السكوت عليها... والكلم ما تركّب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليه، نحوإن قام زيد"[3]، ففي عبارة (يحسن السكوت، لم يحسن السكوت) اهتمام بالمخاطَب الذي يصدر عنه السكوت على الأداء أوعدمه؛ أي أن تعريف الكلام كان بالنّظر إلى موقف اتصالي ما، وهي قيمة تداولية معتمدة في بيان الكلام من غيره عند النحاة.

1- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط3 1987، ص 19.

2- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدّم له مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، لبنان 1963، ص 74.

3- محمد محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ط2، د.ت.ج1، ص 14.

وبالتالي، فإن ما يحكم الفرق بين الجملة والكلام والقول عند النحاة أربعة مقاييس، منها ما يرتبط بالمتكلم، ومنها ما يرتبط بالمخاطب، ومنها ما يرتبط بالخطاب في ذاته، وهي: الإسناد، القصد، الإفادة وحسن السكوت، وهي مقاييس تداولية في الواقع، لا سيما الثلاثة الأخيرة التي لا تتحقق إلا بالاستخدام الفعلي للغة.

أمّا عن تداولية الخطاب في حدّ ذاته في النحوالعربي، فهي تحظى بقيمة كبيرة في الدرس النحوي العربي، ويتبين لنا ذلك من خلال دراسة النحاة لأغراض الأساليب، وخروج أسلوب من معنى حقيقي لاصق إلى معنى آخر؛ كخروج أداة الاستفهام من الدلالة على السؤال إلى الدلالة على مَعانٍ أخرى، نحوالإنكار والاستنباط، وغيرهما، ونحوالدلالات التي فصلها ابن هشام لـ (الـ) التعريف وجعلها نوعين عهدية وجنسية"[1].

ومن مباحث النحوالعربي التي اهتمت بتداولية الخطاب أيضًا، التقديم والتأخير، فتناول النحاة دواعي تقديم المسند إليه، ومنها أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأّن في المبتدأ تشويقًا إليه[2].

ومن مباحث الاهتمام بالخطاب ذاته، التعبير بالجملة الفعلية واختلافه عن التعبير بالجملة الاسمية؛ حيث يكون الأوّل عندما يلتقي السامع الخبر لأول مرّة وليس لديه فكرة عنه. أمّا الثاني، فيكون حين يملك السامع على الأقل أدنى معرفة بموضوع الحديث، لكن المتكلم يرسله بقصد ومبالغة. ولقد ذكر ابن الأثير أمثلة منها قوله تعالى:" وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ "[3]؛ فقد عبروا بالفعلية حين حديثهم مع المؤمنين، وبالاسمية مع إخوانهم الكفار،"لأنّهم في مخاطبة إخوانهم بما أَخْبَرُوا به عن أنفسهم من الثبات عَلَى اعْتقادِ الكُفْرِ والبعد... وأمّا الذي خاطبوا به المؤمنين فكان تَكلُّفًا وَإِظْهَارًا للإيمان، خَوْفًا وَمداجاةً ... ولأنّهم ليس لهم في عقائدهم باعثٌ قويٌ على النطق في خطاب المؤمنين بِمِثْلِ مَا خَاطَبُوا بِهِ إِخْوانهم"[4].

1- ابن هشام: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1991، ج1، ص 61 وما يليها.

2- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط5، 1980، ص 135.

3- سورة البقرة، آية 14.

4- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990، ج2، ص 51.

وتحدّث النحاة أيضًا عن الوحدات اللغوية، نحوالضمائر، أسماء الإشارة، الظروف الزمانية والمكانية، وزمن الفعل... وغيرها من الوحدات التي لا تتحدد مدلولاتها إلاّ بالنظر إلى عناصر المقام والعبارات التي تَرِدُ فيها، وهي بذلك ذات دلالات تداولية، اشترك في دراستها النحويون قديمًا، واللسانيون التداوليون حديثًا.

ربما رادف مصطلح الخطاب مصطلح النّص في بعض استعمالاته، وإن كان في الخطاب (إيحاءٌ بأنّ النّص يتجاوز كونه مجرد سلسلة لفظية بها قوانين لغوية، إلى الظروف المقامية)[1]، وهذا ما يؤكد لنا دلالة الخطاب على الاستعمال والاستخدام من النّص، إلى جانب تجاذبه من طرف الدراسات اللسانية، والسيمائية والأدبية، وبذلك فهويعدّ حقلٌ للسانيات النّصية، لأنّه (يقوم على: (دراسة الاستعمال الفعلي للغة، من خلال متكلمين فعليين، في مقامات فعلية)[2]، ومن هنا نرى تجاوز مجال اللسانيات النصية من (دراسة الخطاب بعدّه نصًّا، إلى عدّه نشاطًا فاعليًا أساسيًا، يعتمد المعارف المقامية والسياقية)[3]، وهذا ما يعدّ مجالاً واسعًا وثريًا للدرس التداولي.

أمّا عن التحليل التداولي للخطاب، فهويتجاوز البنيوية ويعتمد معطيات السيمولوجيا أساسًا له من ناحية والتداولية والاتصال من ناحية أخرى حتى أصبح بالإمكان فهم السميولوجيا بوصفها بلاغة معاصرة، بحسب ما يقول رولان بارت، أويمكن أن تكون منهجًا جديدًا في تحليل الخطاب.

فبلاغة الخطاب كمفهوم مرهون بالاعتداد به كعلم لكلّ أنواع الخطاب من منظور تداولي وظيفي لغوي، مما يعني الاقتراب من الخطاب ذاته بوصفه موضوعًا خارجيًا بافتراض وجود فاعل منتج تكون له علاقة حوارية مع مخاطب أومرسل إليه وأصحاب هذا المذهب يرون الخطاب ينقسم إلى نوعين كبيرين:

الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر بحسب حضور القائل في نظامه وعود الضمير على المتكلم أوالغائب فيه؛ ثم ما لبث هذا الاتجاهان حتى أسفرا عن منظومة متسقة من

1- أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، مصدر سابق، ص 16.

2 -Maingueneau : les termes clés de l’anglyse du discours, seuil, collection. Mémo, Février, paris, 1996, p11.

3 - Jean Michel Adam : Linguistique textelles des genres de discours aux texte, édi Nathan, 1999, paris, France, p 34.

الإجراءات التي تفيد من المنظور التداولي في اللغة بقدر ما تستثمر إمكانيات التحليل السيميولوجي للوحدات الوظيفية في النصوص تحت عنوان شامل هوتحليل الخطاب.

تحليل الخطاب والبراجماتية:

لقد تنبّه اللغويون منذ الستينيات من هذا القرن إلى أن تحليل الجملة المفردة في النّص لا يفي بتحليل المعنى الإجمالي للنص بمغزاه المباشر وغير المباشر سواء كان هذا النص منطوقًا أومكتوبًا، كما بدأ اللغويون الأمريكيون أمثال روس ومكولي ولا كوف يعترفون بأهمية دراسة المعنى إلى جانب دراسة البنية التركيبية، قائلين بأنه ليس في مقدور اللغوي أن يصف النحوبمعزل عن المعنى، ومن هنا بدأ إدخال دراسة السياق بمكوناته المختلفة والوظائف اللغوية المتعددة، إلى جانب دراسة الملامح اللغوية في تحليل الخطاب، وقد تطلب هذا الاتجاه الجديد أن يتجاوز الدارس حدود الجملة إلى التراكيب أوالوحدات الأكبر من الجملة، وأن يقوم بدراسة الضوابط التي تدخل في إطار الأسلوبيات وعلم الدلالة أكثر منها في علم النحو، مما يعرف الآن ببراجماتية تحليل الخطاب " والبراجماتية بهذا المفهوم هي دراسة المعنى في المواقف المختلفة، أي بالإشارة إلى متحدث معين أومستخدم معين للغة. وتختلف البراجماتية عن علم الدلالة Semantics بأن الأخير يعنى بدراسة المعنى في حدّ ذاته، أي بمعزل عن مواقف معينة"[1].

ومن بواكير المحاولات التي تمّت في مجال تحليل الخطاب الدراسة التي قام بها ت.إ ف ميتشل للغة البيع والشراء في بنغازي التي نشرها عام 1957 في مجلة هسبري في باريس بعنوان: لغة الشراء والبيع في بنغازي"، وقد حاول ميتشل أن يتعرف على معنى النصوص التي سجلها عن طريق وظائفها واستخداماتها في المواقف المختلفة، " فبدأ بتصنيف مادته وفق العلاقة بين هذه النصوص والمحيط الذي تستخدم فيه، ثم تخيّر عددًا محدودًا من هذه المواقف وتقصى العلاقة بين مكوناتها وبين الجمل والعبارات التي استخدمت لتصريف الأعمال المختلفة المتعلقة بالشراء والبيع من حيث الشخصيات المشتركة (مثل المشتري والبائع والسمسار الذي يقوم بعملية المزايدة وصاحب السلعة أوالبضاعة التي تعرض في المزاد... وكذا النشاطات أوالأعمال الكلامية أي الجمل والعبارات والألفاظ، وكذا الأعمال

1- علي عزّت، الاتجاهات الحديثة في علم الأسلوب وتحليل الخطاب، شركة أبوالهول للنشر، 1996، ط1، طبع في دار نوبار، القاهرة ص 50.

غير الكلامية المعبرة المعينة للغة من حركات جسمانية وإيماءات وتعبيرات..."[1]، وعن الربط بين كلّ موقف والألفاظ والمصاحبات اللغوية التي تستخدم فيه يقول متشل:" غالبًا ما يكون من الصعب أن نفصل بين مستويين تقريرين: المستوى السياقي والمستوى اللغوي أي المصاحبات اللغوية والمصاحبات اللغوية الممتدة إذ أن الموقف يقرر إلى حدّ كبير نوع المصاحبة اللغوية في أي نص معروف"[2].

وثمة أساليب يمكن إتباعها في دراسة (تحليل) براجماتية الخطاب اقترحها مجموعة من اللغويين أمثال ساكس، وسنكلير، وكولتهارد، وإدمندسون، وبراون، ويول، وفان ديك، ومن بين هذه الأساليب: " تبادل الأدوار بين المتخاطبين.

علامات الحوار أوالخطاب

ألقاب التخاطب

المبادئ التعاونية في الخطاب

التماسك في النص"[3].

1- علي عزّت،المرجع السابق، ص 50.

2 - Mitchell, T.F : The Language of Buying and selling in Cyrena, ica, Hespèris 44, 1957,p53.

3- علي عزّت،المرجع السابق، ص 54.

تبادل الأدوار:

ويقصد بتبادل الأدوار " التنسيق أوالتنظيم التتابعي للخطاب"[1]، أي توزيع الكلام عبر متخاطبين؛ فالمتحدث التالي يمكن أن يبدأ بمجرد أن ينتهي المتحدث الحالي، مع مراعاة عادات كلّ شعب في التحاور، فعادات التحاور تختلف من شعب إلى شعب.

علامات الخطاب:

وتتضمن استخدام مجموعة من المفردات لا يمكن أن تفسر بالرجوع إلى النحوالتقليدي أوالدلالة التقليدية للجمل المفردة مثل، حسنًا، من فضلك، بالتأكيد....الخ والتي كانت تصنف نحويًا على أنها ظرف أوأداة عطف أوجار ومجرور. " ومن المراجع التي تهتم بدراسة هذه العلامات كتاب علامات الخطاب للكاتبة الأمريكية ديبورا شفرين الذي نشرته مطبعة جامعة كمبردج عام 1987"[2]، وقد تناولت في هذا الكتاب علامات الخطاب في الإنجليزية من منظور براجماتي " فتصنفها إلى علامات إدارة المعلومات مثل: oh، وعلامات الاستجابة مثل: well، وأدوات ربط الخطاب مثل، or، but، and، ثم علامات السبب والنتيجة مثل، so, because، ثم الظروف الزمنية وهي now, then، وعلامات المعلومات والمشاركة « I mean y'know »[3].

ألقاب التخاطب:

تكشف هذه الألقاب عن علاقة الأدوار بين المتخاطبين من حيث المركز الاجتماعي والسيطرة والمودة والألفة ودرجة البعد والاقتراب أوالصداقة والمحبة" ففي مسرحية آرثر ميلر " موت جائع متسول،Death of a Salesman، نستطيع أن نلمح أبعاد العلاقة بين الزوج ويليوالزوجة ليندا من حيث أوقات الصفاء أوالعناء أوالاقتراب أوالبعد من خلال الألقاب التي يتبادلانها أثناء الحوار، ففي الخطاب الصفاء يتبادلان ألقاب المحبة التي تنم عن قرب شديد، كما يدل على ذلك الحوار التالي:

ويلي: لست قلقة من أجلي، أليس كذلك، يا حبيبتي؟

ليندا: حاول أن تسترخي يا عزيزي... الخ"[4].

1- علي عزّت،المرجع السابق، ص 54.

2- المرجع نفسه، ص 55.

3 -Schiffrin, Debirah : Discourse Markers. Cambridge, Cambridge Université press, 1987 .ضمن عبد الهادي ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، ص 75.

4- علي عزت، المرجع السابق، ص 55.

المبادئ التعاونية في الخطاب:

وهي مبادئ أوحكم سائرة تتحكم في أصول الخطاب، اقترحها بول جرايس في مقاله: المنطق والحوار عام 1975، ويمكن أن تنطبق هذه القواعد على الحوار العادي كما تنطبق على الحوار الأدبي في المسرحيات وغيرها من الأجناس الأدبية. وتتضمن هذه المبادئ وفقا لجرايس:

العلاقة المباشرة: ينبغي أن يكون حوارك ذا علاقة مباشرة بالموضوع، بمعنى أن تجعل مشاركتك في الحديث مرتبطة بالإطار الحالي للموضوع.

-الكمّ: عليك أن تجعل مشاركتك في الحديث بالقدر المطلوب، أي أن يتضمن حديثك المعلومات الضرورية دون زيادة عن المعرفة المطلوبة.

الكيف: ينبغي على المتخاطبين المشتركين في حديث ما أن يقولوا شيئاً ملائمًا عند هذه النقطة من تطور أويسر الحديث، وعليهم أن يتجنبوا الإبهام والإطالة غير الضرورية.

النوع: حاول أن تجعل مشاركتك أوإسهامك في الحديث الجاري أصدق ما يكون.

كما أضاف جرايس تعبير المغزى الحواري Conversationalimplicature لكي يشير إلى مخالفة المتخاطبين لهذه الأحكام بغرض الحفاظ على الأهداف الاتصالية المتبادلة، " وعلينا وفق هذا المفهوم أن نفسر تطور معنى من المعاني التي ترد خلال الحديث عن طريق التمييز بين ماتعنيه الجملة في ظاهرها وما يعنيه الحديث من استخدام هذه الجملة..."[1]، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة تطبيقات عديدة للمنهج البراجماتي سواء على مستوى الحوار العادي أي الحديث اليومي أوعلى مستوى النصوص الأدبية وبخاصة في المسرحيات " ومن أوائل هذه التطبيقات المثال الذي أورده كولتهارد في كتابه " مقدمة لتحليل الخطاب"[2]، فتحدث عن التكنيك الذي اتبعه شكسبير في مسرحية عطيل، ذلك أنه جعل إياجويثير الشك والريبة في نفس عطيل عن طريق سلسلة من الأسئلة التي يمتنع عن الإجابة عليها.

أ-استراتيجية الخطاب المسرحي:

1- المرجع نفسه ص 56.

2 -Coulthard M : An introduction to DiscourseAnalysis, London Longman, 1977p 170-181.

إنّ عبارة استراتيجية تعني المعبر أوالمسلك الذي يعتمد عليه أويتخذه المتكلم للتلفظ بخطابه، وذلك باستعمال علامات قد تكون لغوية وذلك بكلمات وعبارات مقصودة أوغير مقصودة أوغير لغوية كاستعمال إشارات وإيحاءات ويكون ذلك وفقا للسياق الذي يكون فيه المتلقي أوالمستمع والمتكلم،ولكل خطاب استراتيجيته الخاصة به، هذه الاستراتيجية تعني تحقيق التواصل وتنفيذ إرادة المتكلم والتعبير عن مقاصده،وللخطاب المسرحي استراتيجيته الخاصة به إذ "أنّ الخطاب المسرحي بالفعل هودائما خطاب الشخصية الموجه نحوشخصية أخرى، وخطاب المؤلف(عمل) الموجه إلى المشاهد في الوقت نفسه..."[1]؛فاستراتيجية الخطاب المسرحي إذن هي تقنية تتخذ بغية تحقيق التواصل بين المتكلم والمستمع فالخطاب على حدّ تعبير جافري لتش Geoffrey ومايكل شورت Michael short "اتصال لغوي يعتبر حقيقة بين المتكلم والمستمع ونشاطا متبادلا بينهما، وتتوقف صيغته على غرضه الاجتماعي ..."[2]؛فيكون تحقيق التواصل وإيصال ما يريد المتكلم إيصاله للمستمع وذلك وفقا للسياق والقصد.

إنّ الخطاب هوتواصل بين طرفين(المتكلم والمستمع) أوبين المخاطب والخاطب ويكون وفق وحدات لغوية تتسم بالتنضيد والتنسيق وللانسجام،ولتحقيق هذه الاستراتيجية في الخطاب المسرحي ينبغي أن يقدم هذا الخطاب على عناصر هامة منها :الهدف ؛أي أن يكون لهذا العمل المسرحي عمل يصبوالمؤلف إلى تحقيقه أوالممثل إلى إيصاله للشاهد، كتقويم سلوك .أوإثارة انتباه، كما يجب أن يتمتع هذا العمل بالحركية وتحقيق المتعة من خلال السياق العام للمسرحية من بدايتها إلى نهايتها، هذا الأخير الذي يشكل عناصر المسرحية من شخصيات وأحداث وحوار وصراع وعقدة وحل،إضافة إلى أداء الممثل.

الذي يتمثل في حركته وأفعاله المتنوعة قصد عرضها على المشاهد كما لا ننسى الفاعل الحقيقي للعمل المسرحي والمتمثل في كاتب المسرحية أوالممثل أومخرج المسرحية.

يتحقق التواصل في الخطاب المسرحي بفضل اللغة هذه الأخيرة باعتبارها "أداة وظيفتها الجوهرية التواصل.. وماريني يعترف أن اللغة يمكن أن تكون وظائف أخرى كأن تكون

1-أوزوالدديكرو،جان ماريسشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ترجمة منذر عياشي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط2007،2ص 662.

2- سارة ميلز،الخطاب،ترجمة يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة، 2004، ص20.

حاملة للفكر أوأن تسمح لشخص ما، للتعبير عن نفسه وتحليل ما يحس به دون أن يهتم كثيرا بردود فعل مستمعين مختلفين.."[1]؛أي أن اللغة هي التي يتحقق بواسطتها التواصل في الخطاب المسرحي بين المتكلم والمستمع أوبين شخصياتها المحاورة، كما لا ننسى دور الإشارات والإيحاءات التي قد تصدر من الشخصيات كتحريك اليدين، رفع العينين،.....

إنّ مصطلح استراتيجية كما أشار إليه عبد السلام المسدي "في منبعه من قاموس لغة الحرب ولغة السياسة تتم تداولته لغة الاقتصاد،ثم تعمم استعماله ودخل اللفظ علوم اللسان واطردت الأبحاث فيما عرف في اللغة الأجنبية بعبارة استراتيجية الخطاب، ثم قرب إلى النقد الأدبي باعتباره من المفاهيم الإجرائية التي تعين على كشف خصائص الكلام الأدبي وقيل الكتابة من موقع المحاورة الضمنية بين طرفين باث ومتقبل"[2]؛ فتحقيق محاورة شفهية كانت أوكتابية تحكمها قوانين تتحكم في نجاحها وفي إيصال الأفكار المقصود إيصالها للمتلقي وهذا ما يعرف بقوانين الخطاب.

ب- قوانين الخطاب

سبق وأن أشرفا في مبحث سابق عن مبدأ التعاون الذي يجب أن يتوقف في العملية التواصلية بين الباث والمستقبل أوبين المتكلم والمستمع، إن هذه القوانين لا تتعلق بقواعد التركيب والصرف وإنما هي مواضعات صريحة تعرض لها الفيلسوف الأمريكي ج ب جرايس بعنوان البديهيات التخاطبية [3]

وهوما أطلق عليه فيما بعد بقوانين الخطاب Lois de discours وهوما أشار إليه أوزوالد ديكرو، هذه القوانين التي يجب على المتخاطبين احترامها لأجل تحقيق فعل التواصل وكل هذه القوانين تعود إلى مبدأ التعاون وتنبثق منه .

1- مارسيلوداسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة،ترجمة حميد الهمداني وآخرون مكتبة افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1987،1 ص 46-47

2-عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع تونس، ص 42.

3 -Grice , Logique et conversation in communication n 30,paris 1979,p 57

1-مبدأ المشاركة:

يعد هذا المبدأ الرئيسي والأساسي لتحقيق النشاط الكلامي بين المتخاطبين، فهوذومصدر اجتماعي وأخلاقي إذ أنه يصبوإلى تحقيق الفائدة التي سيجنيها المتخاطبون أثناء تواصلهم وخطابهم أوأثناء ممارساتهم الكلامية"فتبادل الكلام نشاط اجتماعي متحقق"؛[1]

ولتحقيق هذا المبدأ أوتطبيقه وضع جرايس أربعة مبادئ وهي بمثابة قواعد تساهم في تشكل وتواصل النشاط الكلامي [2]وهي أحكام أعيدت صياغتها لتكون قوانين، تمثلت في :

1-1-قانون الإفادة:

وهوما يقابله حكم المناسبة، يعني استفادة المتلقي من كلام المتكلم أوالباث، أي تحقيق الإفادة سواء كان القول مخبرا أوغير مخبر عنه، إذ يستفيد المستمع من كلام المتكلم فيستجيب مثلا لطلباته كأن يقول أحدهم : البحر هائج هذا الصباح، فهوإخباري ولكنه مفيد من جهة أخرى التزم المتلقي،وتفادى السباحة صباحا . يقول ويلسون وسبربر :"إنّنا نعترف بأنّ كلّ الأحكام تنضوي تحت مسلمة الإفادة، التي هي أكثر دقة وصحة من الأحكام الأخرى"،[3]فيتحقق الإدراك للمستمع مما يؤدي إلى النتائج العملية المحققة فعلا .أي التي امتثل المستمع لها وطبقها كامتثال للمستمع في الحوار الآتي :[4]

مريم:" ثقي بأنّني الأولى أعلن عفتك وأبرئ المرحوم والمرحومة كذلك مما أشارته التحاليل خطأ بتأثير العين وإنّها لقوية جاعلة الفارس المغوار طريح الفراش من غير أذّى لا يكشفه الطب وإنّما يدركه الدين ثمّ يشفه بالرقية ولذا أحثك على إرقاء هذه الدار"

زكية :"إنّي لا أرفض إرقائها فعسى أن يصل الخبر إلى النسوة فيكففن عن البهتان ولوبدافع تدين.." ؛ فزكية في هذه الحالة امتثلت لرأي مريم بعد ما أخبرتها بأهمية الرقية في تخفيف الألم عن حسناء المريضة فرأت زكية أن ذلك قد يخفف عنها ولم ترفض الفكرة .ففي كلام مريم الإخباري إفادة للمستمع (زكية) ومن المشهد نفسه نجد [5]مريم: "..كأن تجده صدفة في وثيقة لم تسلم وسلمت غيرها بعدما تسري القدرة الخطية بفضل الدين مزيلة تأثير العين ومرشدة العبادة إلى التحاليل الصحيحة وتكون إيجابية"

1- CK Orecchioui,1986, Limplicite, Armand Colin,p 198

2-عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،مصدر سابق،ص 95.

3 - CKOrecchioui, ,Limplicite P 198-199

4- ك.ل ابن آدم، الوهم، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 64.

5- المصدر نفسه، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 65.

زكية :"إنّ رغبتي لشديدة في أن ألجأ إلى الدين مثلما تحثينني عليه توقا ...."، فزكية هنا أيضا متمسكة برأي مريم على اللجوء إلى الدين لحل المشكلة فقد امتثلت لأمرها وأقرت على اللجوء إلى الدين.

وها هي زكية مرة أخرى تمتثل لأمر ابنها سهيل، الذي يخبرها ويحثها على معاملة حسناء معاملة حسنة للتخفيف من حالتها النفسية السيئة:[1]

سهيل :"أمّاه عامليها بإحسان فلعله يخفف عنها أزمتها مع أدوية مهدئة لأعصابها "

زكية :"...أعدك بأنّني أغير سيرتي معها عسى أن تعود إلى عافيتها". ومن نماذج قانون الإفادة نجد:[2]

الرجل1:"العقل امليح يا الهامل ما عنده ما أداك ...الإنسان ذرعيه طوال..."

الهامل :"وأنا انقصهمله "؛ فالرجل يخبر الهامل أن السيء الحظوظ إنسان متهور وذرعيه طوال .أي يمكن إيذاء الآخرين، لكن الهامل ردّ عليه بأنّه سيقص له ذراعيه ؛ فالمستمع هنا قد يأخذ بالنصيحة ويبتعد عن هذا الرجل،أويتصدى له ويوقفه عند حدّه .وها هوحمدي من جهته كمستمع يمتثل لأمر الصالح الذي يخبره بأنّه سيعمل وفق ما يمليه القانون لمحاربة الفساد ولإيقاف الحظوظ عند حدّه[3]

خرابطة :" حاب يحاوزنا من الدار..الراجل"

الصالح :"احنا نعملوا بللّي يسمحلنا بيه القانون وإذا هوالمعني فينا رانا واجدين..."

حمدي:" آملة غدوة لعشية نتلاقاواونتفاهموا منين نبداو"

ومن نماذج قانون الإفادة نجد أيضا[4]

الهامل :"آه.. راح للأروقة Les galeries"

خرابطة: متدخلا:" تعس التم...؟"

الهامل:" إيه على الدالة.."

الشيخ إبراهيم :" آه.. باه في الصباح كي يحلوا أتكون أنت الأول .."

الهامل:" وبلاصة الأول تسوى خمسين ألف.."

1-ك.ل ابن آدم، الوهم، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص 68.

2- مسرحية ناس الحرفة، الفصل الثاني،اللوحة الأولى،ص 109.

3- المصدر نفسه، ص 110-113.

4-مسرحية ناس الحومة، الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 115.

؛ فالهامل يخبر كل من خرابطة والشيخ إبراهيم عن فائدة الذهاب للأروقة وفائدة من (يمسك الدالة) على حدّ تعبير الهامل، فالمستمع (خرابطة) الذي يرى فيها فائدة هوالآخر طالبا من الهامل أن يأخذه معه قائلا :

خرابطة:" يجبد الهامل بعيد عن دكان إبراهيم : واش تقول وانجي معاك ..العفسة هذه ما جربتهاش.. "[1]

وها هوالشيخ المحفوظ الذي يخبر الشيخ إبراهيم عن إسراره على مساعدته لإكمال تجهيز المنزل،وما على المستمع إلا الاستماع وتنفيذ ما يطلب منه :

الشيخ محفوظ [2]:"انعم إيه ..الليلة هذه انحظرهم وغدوة تصبح ساكن وما تنسالناش الزردة..."

الشيخ إبراهيم:" خطيك ..الزردة هي الأولى ..ابرانشيلي الزيقوبرك.."

فالشيخ إبراهيم كمستمع يكون قد استفاد من كلام الشيخ المحفوظ الذي سينفذ أمره وقد أنطلق لتحضير الزردة هي الأولى.

ونجد قانون الإفادة كذلك في ردّ المستمع (الشيخ المحفوظ) على كلام عبد القادر الذي يخبر الجميع بأن ينظفون الحي ويجمعوا القمامة :[3]

عبد القادر:" ليها يا جماعة ليها، الحجر والزبل لموهم على جهة".

الشيخ المحفوظ:" النظافة من الإيمان .."

وها هي عزيزة بدورها كمستمعة تطمئن معيط ورفاقه وتعدهم بتدبير الأمر بعدما أخبرها بأن الشيخ سيعاقبهم بحرمانهم من الأكل [4]:

معيط:" إذا قعدنا نتكلموا معاكم، راهوشيخكم يخلينا اربع أيام بلا ماكلة.."

عزيزة :" ما تخافوش إذا ما عطاوكمش تاكلوأنا ندبر عليكم ".

وقد بادرت ليلى بدورها كمستمعة إلى رفض الخروج للقاضي، بعدما أخبرتها أمهّا بأنّه قادم لتطليقها من زوجها بوحدبة؛ فقد كان جوابها بالرفض التام والقاطع قائلة:[5]

زوليخة: " يا سواد السعد .. أنت هبلتني.. القاضي جاي.."

1- مسرحية ناس الحومة، الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 115.
2- المصدر نفسه، ص 119.
3- المصدر نفسه، الفصل الثاني، اللوحة الرابعة، ص 149.
4- مسرحية زعيط ومعيط ونقاز الحيط، الفصل الثالث ص 45.
5- مسرحية بوحدبة، الفصل الأول، الموقف الخامس، ص 69.

ليلى:" قولوه يرجع للمحكمة "، فليلى كمستمعة التزمت وأصرت على موقفها ورأيها، رافضة مجيء القاضي.

1-2- قانون الصدق:

يعد قانون الصدق من قوانين الخطاب الهادفة إلى قول الحقيقة كما هي موجودة في الواقع. سواء عن طريق استفهام يريد به المتكلم معرفة جواب صادق أوبالأمر، أوأن يطيع المستمع أوامر المتكلم فينفذ طلبه، لكن قد لا يتحقق الصدق دائما في بعض الخطابات إذ يلجأ المتكلم أحيانا إلى الكذب، إذ قد يفرض المقام على المتكلم أن لا يكون صادقا تماما فلكل مقام مقال . فعادة ما يلجأ المتكلم إلى الكذب في خطابه مخافة الفتنة مثلا أونشوب شجار فيستدعي منه المقام الكذب في خطابه ." فالسياق هوالذي له دور تبيان الصدق في القول والصدق يعتبر أصلا وفرعا في الخطاب، إنّ الكذب شيء استثنائي، إلّا أنّه سلوك مندرج في الخطاب ويخضع لمعيار الصدق" لا يمكن تصور لغة بعكس هذه القاعدة"؛[1] فتساؤل زكية مثلا عن وجود تاريخ ميلاد مطابق لتاريخ أب ميلاد حسناء من طرف الأعمام أوالأخوال، فاستفهامها حقيقي وصادق أرادت من ورائه معرفة الحقيقة قائلة ومتسائلة[2]:

زكية:" وهل تحققت منها يا منصور؟"

منصور: "تحققت منها فلم أجد ذكرا أوأنثى من الأعمام أوالأخوال يطابق تاريخ ميلاده بتاريخ ميلاد أب حسناء أوأمّها فجزمت بأن احتمال القرابة بالاستدلال لم يحدث في المستشفى "؛ فالمستمع (منصور) تحقق مما استفهم عنه المتكلم (زكية). وقدّم المعلومات اللّازمة لها بكل صدق وأمانة وما يثبت ذلك هوتواريخ الميلاد المدونة على شهادات الميلاد، فقد تحقق الصدق في الحوار وكان للاستفهام عن شيء حقيقي وواقعي وجد في المقابل له جوابا مقنعا ودقيقا .

ومن الخطابات المشتملة على قانون الصدق نجد:[3]

الشيخ المحفوظ:" وباه نعلمكم الدراهم اللّي لميناهم راهم في الأمان والضمان رايحين يستعملوا في أحياء تراثنا وشخصيتنا ...اشريت بهم السيما"

خرابطة:"مقاطعا، آه ...هذه صحيحة وهذي ليلتين وأنا والفيجيتيف النقلوله فيها القراج"

1- J.Austin 1970, quand dire c'est faire, tradiction Gilles lane, Edition du seuil, paris, p 69-70

2- ك.ل ابن آدم، الوهم، الفصل الثالث، المشهد الثاني، ص 73.

3- ناس الحومة، الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 108.

ففي الحوار يتحقق قانون الصدق،وذلك وفقا لكلام المستمع(خرابطة) الذي أكد صدق ما قاله المتكلم (الشيخ المحفوظ) وفي الحوار الآتي ما يبين لنا تحقق قانون الصدق، أي صدق ما تلفظ به كل من زعيط ومعيط والحيط والقائد:[1]

زعيط:" حنا مانعرفوهش.

القائد:" ما تخافوش

معيط:" باش نوروهولك وتتعاقبوا؟

القائد:" اعطوا فينا الأمان وما تخافوش

الحيط:" إيه...من بعد تقول لنا كيفاشعقلتوه لوكان ماشي اصحابوا

القائد :" عليكم عاهد ربي والنبي ما تخافوا.

الثلاثة:" نعرفوا وجه..، فبعد الحوار والنقاش الطويل، تأكدّ الثلاثة من حسن نية القائد وصدقه فيما قال، قرّروا واكدّوا معرفتهم بشعبان فنادوا ما يتحقق قانون الصدق،وذلك كما ذكرنا سابقا راجع للمقام، فقد يتحتم على المتكلم الكذب في خطابه خشية أمر ما نجهله.

1-3 قانون الإخبارية:

إنّ قانون الإخبارية من القوانين التي تعدّ أحد مكونات عملية التواصل الكلامي، فتكون رغبة المتكلم من خلاله خطابه إخبار المستمع بمعلومة يجهلها" فقانون الإخبارية هوالشرط الذي يخضع له الكلام،والذي هدفه إخبار السامع،ولا يمكن أن يتم ذلك إلاّ إذا كان هذا الأخير يجهل ما يشار إليه "،[2] فالباث أوالمتكلم يتلفظ ويتكلم ما يعرفه السامع إذ لا يمكنه أن يلقي كلاما غريبا كلّ الغرابة عن المستقبل أوالمستمع،ويتحقق قانون الإخبارية بجملة من الأفعال كالاستفهام،والتقرير، والأمر..... على أن تكون هذه الأفعال متحققة فعلا في الواقع ومنها نجد:

الزوجة:"...لنذهب الآن إلى المستشفى لزيارة ابنتنا ... لم نراها منذ أيام.. لعلها اشتاقت إلينا كثيرا.."

1- محمد التوري، زعيط ومعيط ونقاز الحيط، الفصل الثالث، ص 50.

2 - O.Ducrot :1980 dire et ne pas dire 2 emeédition ,hermam, paris,p 133

الكاتب:" آه..كدت أنساها...المسكينة... لنذهب إليها حالا..." ؛فالكاتب يعلم أنّ ابنته في المستشفى ولكنّ الزوجة تذكره وتطلب منه الذهاب لزيارتها ففي الحوار نلمس طلبا وتقرير بالذهاب من طرق الكاتب.

ومن نماذج قانون الإخبارية نجد:[1]

الزوجة :"لقد تأخرتم كثيرا... كان يجب عليكم أن تقدروا وزنه وقيمته في الماضي أما اليوم فلم يعد لمجيئكم فائدة ترجى، تعترفوا..."

الصحفي1:"سيدتي...لم نكن يوما ضد السيد المحترم زوجك بالعكس كنّا نبجله ونقدره .. كنا نعترف له في السر والعلانية ..." ؛ فالزوجة تخبر رجال الصحافة عن وزن وقيمة زوجها الكاتب،ففي كلامها نلمس تقريرا وتأكيدا، لاقي استحسانا وتقبلا لدى

رجال الصحافة وذلك ما لاحظناه في إجابة الصحفي 3 الذي لم ينف صحة ما قالته الزوجة وأكدّ لها القدر والتبجيل لزوجها الكاتب المحترم.

وهاهوسراب يسأل الغريب عن حال جدّه، منتظرا منه إجابة دقيقة وواضحة، وبدوره الغريب كمستمع سيجيبه إجابة فيها تقرير ووضوح، فقانون الإخبارية كما أشرنا سابقا يمكن المتكلم من الإخبار المستمع أشياء يجهلها،والتي بدورها قد تكون تقارير أوضح، أواستفهام ومنه نجد هذا الحوار بين سراب والغريب :[2]

سراب : "قل لي يا غريب ما أخبار جدّك؟"

غريب : "إنّه مريض ولكنّه مرتاح النفس أظن أنّه مستعد للرحيل"

يقترب من سراب:

"يجب أن تخرج من المدينة فأعداؤها موجودون في كلّ مكان"؛ فالغريب هنا سراب ويحثه على ضرورة الخروج من المدينة خوفا من الأعداء ولكنّ الغريب أجابه إجابة اشتملت الأخذ بالنصيحة مقدما له أسباب ذلك قائلا:[3]

سراب :" لا تخشى فسراب يعلم كيف يتخلص من الجند دون قتله أم الجان الذين يتجسسون عليك فإنهم يفرون عند سماع الحديث المقدس"

1- محمد التوري، المصدر السابق، المشهد الأخير، ص136

2-نورجاي علاش، فج روأفول، الأول، المشهد،ص151.

3-نورجاي علاش، المصدر السابق،ص151 -152.

من أساليب قانون الإخبارية نجد الاستفهام الذي كانت إجابته بينة في الإجابة التي أجابها الغريب عن السؤال المطروح من قبل سراب [1]

سراب :".... قل لي يا غريب هل وجدت الكنز؟"

الغريب :"نعم ذهبت إلى المعبد القديم، وجدت الكتاب داخل القبو، كنز الأولين، إنّ نفسي تطمئن لكلمات هذا الكتاب ".

ومن الأساليب التقريرية نجد:[2]

الغريب :" السحر ليس بعلم يا ابن العم إنّه سمّ، إنّها جريمة يقتلون بها من يعاديهم "

شديد :"إنهم أقوى منّا، يروننا من حيث لا نراهم"

الغريب :"إنّ بصرهم ضعيف، لا يفرقون بين الخير والشر." ؛ فالغريب هنا يخبر شديد بحقيقة يقينية وهي أن السحر شر ولا يفيد كل من يلجأ إليه، حتى أنّه كد له بأن بصيرة السحرة ضعيفة بحيث لا يمكن لا يمكنهم حتى التفريق بين الخير والشر ففي الخطاب تقرير وتأكيد لحقيقة لا ينكرها أحد.

ومن أفعال الكلام التي تطبق فيها قانون الإخبارية نجد الأمر في خطاب الغريب[3]:

الغريب :" يجب أن تكتم هذا الأمر".

حطام:" لا تخشى يا غريب لن أغدر بك أبدا.."؛ فالغريب يلزمه ويأمره ويطلب منه كتمان الأمر (اختيار السماء للغريب لأن يرى كتاب كنز الأولين)، فالمستمع فور تلقي هذا الأمر قرّر الكتمان وأخبر الغريب بأنّه لن يغدر به أبدا، فقد تحقق هنا فعل الأمر فور التلفظ به، وهذا شرط من شروط تحقق قانون الإخبارية.

وها نحن الآن أمام استفهام حقيقي لاقي إجابة بينة من طرف المستمع[4]

رجل آخر:"هل حقا تخليت عن هذيانك وكلامك الغريب، أنت من كان يريد أن يصدنا عن ديننا ؟"

الغريب:"نعم يا أهل المدينة، الغريب أصبح رجل جديد كنت مسحورا وزال مفعول السحر بعد موت سراب المشعوذ ... أعاهد نفسي وأعاهدكم أنّني سأمضي بقية حياتي في خدمة المعبد

1- المصدر نفسه، ص152

2- نورجاي علاش،فجر وآفول، الفصل الثاني،المشهد الأول،ص170.

3- نورجاي علاش، المصدر السابق،الفصل الثاني، المشهد السابع، ص 188.

4- المصدر نفسه،الفصل الرابع،المشهد الأول،ص212

والعباد...." ؛ فالمتكلم (رجل آخر) طرح سؤالا على الغريب (المستمع)، فقدم هذا الأخير إجابة بينة وواضحة، أمتعت المتكلم وأكّدت له تغير الغريب وعهده الوفي للعباد والمعبد.

ونجد فعل الأمر المتحقق فور التلفظ به من المتكلم في :[1]

شديد :"....اذهب من هنا ارحل يا ابن العم ارحل قبل أن أقتلك، اهرب، اهرب، يا ابن العم فأني لا أريد أن أسقي الأرض بدمك ."

الغريب: "سأرحل يا ابن العم، سأرحل يا ابن العم"، فالمتكلم يأمر المستمع بالرحيل،والمستمع سينفذ أمره، فتحقق فعل الأمر يكون بتنفيذه فور التلفظ به.

4.1- قانون الشمول:

تطرقنا في المبحثالسابق – قانون الإخبارية. – إلى ضرورة إعطاء المستمع الخبر الذي يجهله مع ضرورة المحافظة على الوضوح وتجنب الغموض؛ فالمتكلم سيخبر المستمع بمعلومات يجهلها ولكّنها تعكس واقع كلّ منهما، وكي يكون الخطاب مفيدا ومخبرا عنه بطريقة جيّدة لابد أن يكون شاملا ؛ فالشمول يرتبط بهذا القانون ارتباطا وثيقا، فالشمول عادة يكون عند الإخبار، فحتّى يكون كلام المتكلم شاملا لابد أن يحتوي على أكبر عدد ممكن من المعلومات، فيتحقق بذلك الشمول وهذا ما حدده لنا ديكروبقوله :" إنّ المتكلم يجب أن يعطي المعلومات اللازمة التي بحوزته عن موضوع الخطاب، والتّي من شأنها أن تنفع المخاطب "[2]؛ إذ أنّ إعطاء الخبر بما يحتويه من معلومات مفيدة يحقق الشمول فيتحقق الوضوح للمستمع "فيسمح هذا القانون للمخاطب بالتزود بمعلومات لم يفصح عنها المتكلم، أولم يرغب في الإفصاح عنها، هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يهتم المتكلم بالكذب لأن المقام قد يضطره إلى عدم الإفصاح عن كل ما يعرف، وهذا ما يخلق سوء التفاهم بين المتخاطبين"، أي أن المقام هوالذي يفرض على المتكلم الإفصاح عن المعلومات بالقدر الذي يحقق الإفادة مع تجنب خلق سوء التفاهم الذي ينشب بين المتخاطبين، فتعطى بذلك المعلومات اللازمة التي تنفع المستمع وتحقق له الإخبارية والإفادة في آن واحد . ففي الخطاب الآتي[3] نجد أنّ المتكلم قد أعطى أكبر عدد ممكن من المعلومات حتّى يتزود المستمع بمعلومات تنفعه وتعطي له فكرة عما يجول في المتكلم

1-المصدر نفسه،ص.212.

2 - c.k oRecchioui.l'implicite,p19.20

3 - نور جاي علاش، فجوروأفول، الفصل الثالث، المشهد الثاني، ص 199-200.

الغريب: "سأحرر العبيد لن أيأس كل نفس ذائقة الموت سراب كرس حياته من أجل الدعوة حفظ حديث النبي المنسي، كان يدعو.... الناس إلى عبادة إله النور، نحن عبيد إله النور عبيد إله النور عبيد إله أرأف وأرحم من البشر كلّ نفس ذائقة الموت سراب ضحّى بحياته من أجل الدعوة لقد مات...

سأكمل الدعوة، حتى ينتصر النور سأكمل الدعوة حتى ينتصر النور على الظلام"

لقد وجّه هذا الخطاب لزئير كمستمع، إنّه مليء بالمعلومات اللّازمة التي ستساهم في محاولة إقناعه لتحرير العبيد التي سعى إلى تحقيقها سراب؛ فالمستمع سينتفع حتى من هذه المعلومات المفيدة التي تنقل مسيرة سراب في دفاعه عن الدعوة؛ فالخطاب شامل ومفيد، لقد تحقق فيه قانون الإخبار والإفادة والشمول إذ أنّ الحدود بينهما غير واضحة.

وفي الخطاب الآتي [1] نجد شمولا واضحا أراد منه المتكلم أن ينفع المستمع بمعلومات لازمة

مريم:" إنّ حسناء كنتك قد بدت لي اليوم في صحة جيدة ولا يبدوعليها المرض، بعد إجهاضها الجنين الثالث إنّي لم أنقطع عن تفقد صحتها كلّ صباح قبل الشروع في المسح والغسيل،وهذا واجب عليّ"

زكية:" لقد عادت إليها عافيتها بعدما مر أسبوع على إجهاضها للمرّة الثالثة ...؛ فالمتكلمة مريم قدمت معلومات لازمة للمستمعة زكية والتي من شأنها أن تنفعها ويتمثل انتفاعها في اطمئنانها على كنتها حسناء وعودة عافيتها لها، بعد إجهاضها للمرة الثالثة، فالكلام شامل ومفيد تمثل في تفقد مريم لحسناء وهذا ما زاد من سعادة زكية.

ومنه نجد أيضا [2]

حمدي مقاطعا :" احبس احبس واش من لجنة هذه، إذا حاب اجتماع رانا قابلين، بالصح لازم سكان الحي الكل يكونوا حاضرين . والناس اللّي في اللجنة هذه اللّي تتكلم عليها أنت واحنا عمرنا ما شفناها، وإذا كاين لابد يحضروا ...السع نشوفوا كيفاه .."

الشيخ المحفوظ:" أنا وحدي نكفي،واللّي حاسبين رواحكم فاهمين ..."

1-ك.ل ابن آدم، الوهم، المشهد الأول، ص 04.

2-ناس الحومة، الفصل الثاني، اللوحة الأولى، ص 105.

فحمدي كمتكلم قدّم معلومات لازمة للشيخ المحفوظ،والتي من شأنها توضح له خطاب أهل الحومة وتؤكد له أن ناس الحومة يجهلون أمر هذه اللجنة، فقدّم له توضيحات ومعلومات عسى أن تنفعه قبل اتخاذ أي قرار لا يرضي أهل الحومة.

وها هوالشيخ المحفوظ من جديد يلقي بخطابه لأهل الحومة، هذا الخطاب المليء بالمعلومات اللّازمة،والتي من شأنها أن توضح لهم، أنّ أمر اللجنة قائم وأن كلّ العيب يكمن في سلوكات السكان وعدم اكتراثهم بما يدور حولهم من سوء النظام،وانعدام النظافة

الشيخ المحفوظ [1] :"تشكيوا على الضوء الّي غايب في الحومة واللّي ولادكم كسروه واللّه يظلمها عليكم وعليهم جايز تشكيوا على الخماج والوسخ اللّي مبلية بهم الحومة وانتم يا هاجوج وماجوج اسبابه ..تشكيوا على الماء جايز ..على الديار اللّي في الرياب جايز ..على الطرق جايز ..تطلبوا يبنيولكم مراكز باه يتسلاوا ويترباوا اولادكم وانتم ناقستكم تربية وهي خسارة فيهم جايز ..لكن واش أداكم لّي ..آه ..واش عرفكم بللي لجنة ماهيش موجودة وماهيش قايمة بدورها؟ "؛ فالشيخ المحفوظ هنا ألقى خطابا مليء بالمعلومات اللّازمة ما صدر من سكان الحي (كتابة رسالة شكوى ضده).

ومن النماذج التي اشتملت على قانون الشمول نجد الحوار الآتي الذي دار بين الأصدقاء الثلاثة (زعيط ومعيط ونقاز الحيط) لأجل كشف أمروجهته ليلى لأمّها زوليخة.

هذه الأخيرة التي طالما حثت ابنتها على الطلاق من زوجها بوحدبة الرجل الطيب والمخلص لزوجته، فنجد ليلى تقدّم معلومات لازمة، تذكرها بخصال بوحدبة وطيبته لعلّها تنفعها وتتراجع عن مطالبتها بالطلاق

ليلى:" تفكري يا يما، تفكري بلّي مراد هواللّي رجع لي صحتي، مراد بوحدبة كيما تقولي أنت وبابا بسبابه بريت،حوس بي الأطباء الكل، أداني للحمامات الدنيا بأسرها ...أداني كل مكان، ما ريح ما غمض عين، حتى بريت..خسر علّي جميع ماله باع حتّى الدار اللّي ورثها من باباه"[2]

1- ناس الحومة، المصدر السابق،ص 105.

2-محمد التوري، بوحدبة، الفصل الأول، الموقف الرابع، ص 67.

وها هوبوحدبة من جديد يعطي معلومات لازمة للملاكم عساها تنفعه في المستقبل وهي عبارة عن نصيحة، فقانون الشمول كما قلنا على علاقة وطيدة بقانون الإفادة والإخبارية والتي من أساليبها نجد النصيحة والتي يجب أن تلقى قبولا من طرف المستمع

بوحدبة[1]:" أنت شاب جاي لحياتك، أرفع صنعتك وشرفها ... خصوصا هذا النوع من الرياضة التي راك فيها، حقك تتعلم مليح،وتتقنوا وتوجذ روحك في عوض الي تضيع وقتك في التمسسخير...والزوخ في الباطل، هول الرياضة حاله صعيب...إذا اعتنى بها مليح،وتعب وضحى، يطلع شانه، وإذا عجز وحقر الدعوة يشعل مثل الشمعة ومن بعد يطفى ...ديما يتفكر يرجع كي لقبر المنسي ...وين الشهرة وين الجرايد...وين الزهووالحطات، وين لحباب وين وين ...

الملاكم:" أيما تقول مفتي الفخر؟ أحضر في الشهر الجاي، ونعطيك لخبر في الشمبيونا...تسمع بداداك ..."، فالملاكم كمستمع انتفع بمعلومات شعبان الخائن، فقرروا إعطاء معلومات لازمة للقائد والشيخ حتى يتعرفا عليه:

معيط[2]: تبعوني (موسيقى، غناء):

"ريحت الغدار داخل الدار اخلفوا الثار راهوا هنا "

معيط :أرمي عينيك يمين وشمال راه يقابلك ذاك الخنزير دبر راسك كيفاش تدير ما تقوليش برك بلي حنيا ريحت..."

زعيط:" حل وذنيك وسمع كلامنا مركب بثبوت وتحقيق يا اللّه غاول قبل ما يفيق تحصلوا نتوما وانزيدوا حنايا ريحت ..."

الحيط:" الحمد للّه بديت تفيق رد بالك والا ياخذ الطريق اربطلوافموا ورجليه صحابه راهم غير اهنا "

معيط:" احمد ربي على السلامة إما يرشوك كيف النعامة راك راقد قدام واحد الرزامة ...سترك ربي زدنا احنايا ربحت "

القائد:" هذا هوالخاين شعبان احكموه ...اربطوله فمه باش ما يزقيش لصحابه "، فكل هذه المعلومات قرّبت الفهم للقائد الذي تمكنّ في الأخير من القبض على شعبان الخائن،

1- محمد التوري، بوحدبة،المصدرالسابق، الفصل الثاني، الموقف الثاني، ص 74،75

2-محمد التوري، زعيط ومعيط ونقاز الحيط، الفصل الثالث، ص 52،53.

فالخطاب كان شاملا ومفيدا نفع القائد إذ بفضله اتضحت له الرؤية وتعرف على الخائن شعبان.

ومما لاحظناه من خلال تتبعنا وتفحصنا لقوانين الخطاب في مسرحياتنا المعاصرة نجد أنّ هذه القوانين مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا إذ أننّا لا نكاد نجد فارقا بينهما، فكل قانون يخدم الآخر ويرتبط به ارتباطا بيّنا فقانون الشمول مثلا يرتبط بقانون الإخبارية ارتباطا وثيقا فكل خطاب شاملا لابد أن يكون إخباريا، والإخبار يتضمن التقرير،والوعد والاستفهام والأمر، النصيحة...كما لا ننسى قانون الصدق هذا الأخير الذي لابد للمتكلم فيه أن يكون صادقا في خطابه الذي قد يكون استفهاما أوإثباتا لأمر ما، حتى تكون استجابة المستمع له صادقة وواضحة وفق سياق محدد ومقام محدّد.

إن لسانيات الخطاب أو علم لغة النص حلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي في نظرية تحليل الخطاب ضمن معرفة عامة واستراتيجية خاصة تسعى إلى تحقيق التواصل والانسجام بين أركان الخطاب وعناصره وقوانينه التي تحكمه.